جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

الحذف والإضمار بين النحويين والبلاغيين

(حذف وإضمار المبتدأ عند شعراء مدرسة أبولُّو أنموذجاً)

Deletion and embedment among grammarians and rhetoricians (deletion and embedment of the subject among the poets of the Apollo school as an example)

إعداد

الباحث/ محمد أحمد يوسف أحمد.

باحث دكتوراة

بقسم اللغة العربيَّة، كلية الآداب، جامعة أسيوط

(العدد الرابع والأربعون)
(الإصدار الثاني- مايو)
(الجزء الثالث (١٤٤٦هـ /٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٥/٦٢٧١م

الحذف والإضمار بين النحويين والبلاغيين (حذف وإضمار المبتدأ عند شعراء مدرسة أبولُّو أنموذجًا)

محمد أحمد يوسف أحمد

قسم اللغة العربيَّة، كلية الآداب، جامعة أسيوط.

البريد الإلكتروني: *Mhgkjd@gmail.com*

الملخص:

جاء البحثُ المعنوَنُ بـ "الحذف والإضمار بين النحويين والبلاغيين – حذف وإضمار المبتدأ عند شعراء مدرسة أبولُّو أنموذجًا–"، كمحاولة من الباحثِ لبيانِ حقيقةِ المراد بالمصطلحين، مع ربط الدراسة النظرية بالتطبيق من خلالِ مُدوَّنَةٍ هي "شعرُ مدرسةِ أبولُّو"، والباحثُ في سعيه هذا لا يغفلُ جهودَ ومحاولاتٍ جادَّةً كثيرةً حاولت من قبلُ دفعَ كثيرٍ من الاتهامات التي وُجِّهت إلى العلماءِ القدامى بالخلطِ، والتشويشِ، والاضطراب، وغيرها من الادعاءات –بجهلٍ كثيرًا، وعن عمدٍ لأغراضٍ خبيثةٍ كثيرًا–، لكنها وقعت –في جميع ما اطلع عليه الباحثُ إلَّا دراساتٍ كادت أن تحقق ما ادعته، لكن دون تطبيق– فيما اتهمت به غيرها؛ إذ يدعي صاحبُ الاتهام اتهامه بخلط المتقدمين في استعمال الممصطلحين، ثم سرعان ما يعود ليستخدمهما عند التطبيق بالاستعمال نفسه الذي نعاه على مَن قبله. ومَن وفِّقَ في وضعِ مقترحٍ للفصل بين المصطلحين إمَّا اصطدم بتعارضٍ مع غيره من السابقين أو اللاحقين، أو اقترح حلًّا دون وجود تطبيقٍ عملي؛ لذا جاء البحثُ ليضعَ حدًّا واضحًا مع نموذج تطبيقيٍّ لمدرسة لها دور التجديدِ في الشعر العربي الحديثِ، في محاولةٍ من الباحثِ للوقوف على حقيقة التجديد الإبداعِي هل له جذورٌ فيما قرره السابقون من العلماء من قواعد نظرية وتذوقاتٍ بلاغية أم أنَّ التجديد خالفَ ما قرره المتقدمون. وتكمن أهمية هذا البحث في مدى كشفه عن كيفية معالجة الموضوع والتصوّر الحاصل لدى كل من النحويين والبلاغيين حول المصطلحين وما اقترب منهما ن مصطلحاتٍ. وكان الباحث

في كل ذلك شارحًا ومحلِّلًا ما توصل إليه هؤلاء العلماء، مبيّنًا بدفاعٍ وحبٍّ وحسن ظنٍّ بما قصدوه، مع مناقشة أدلتهم التي ذكروها، مرجحًا بعضها ومؤيدًا بعضها ومؤولًا بعضًا آخر منها. وقد وقف الباحث على أنَّ المصطلحينِ يلتقيان في معنى "الإسقاط"، ويفترقان في آخر وهو التعبيرُ بالضميرِ موضعِ الظاهرِ –وهو المعنى الثاني للإضمار الذي ينفرد فيه عن الحذف–، ولا تعارضَ بين العلماء فيما ذكروه مما أُبهم على مَن تطاول وافترى عليهم وجاوز حدَّ الأدب في مناقشة كلامهم، لكنَّ المتقدمين بنوا استخدامهم على فهم المتلقي ووعيه بما يُقال، وقد شفَّعَ الباحثُ ببحثه بمجموعة من النماذج التطبيقية لكلِّ ما ذكره من خلال شعر مدرسة أبولُّو.

الكلمات المفتاحية: الحذف، الإضمار، البلاغيين، النحويين، شعراء.

Deletion and embedment among grammarians and rhetoricians (deletion and embedment of the subject among the poets of the Apollo school as an example)

Muhammad Ahmed Youssef Ahmed

Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Assiut University.

E-mail: *Mhgkjd@gmail.com*

Abstract :

The research titled "Deletion and Ellipsis between Grammarians and Rhetoricians - Deletion and Ellipsis of the Subject among the Poets of the Apollo School as a Model" aims to clarify the meanings of the two terms and connect theoretical study with practical application through the "Poetry of the Apollo School" manuscript. The researcher acknowledges the significant efforts made by previous scholars to refute various accusations, such as mixing, confusion, and disturbance, which were often based on ignorance or malicious intentions. However, according to the researcher's findings, these attempts only presented studies that could have achieved their claims but lacked practical application. Those who accused others of mixing the terms were themselves found to use them in the same way they criticised when it came to application. While others who proposed a clear distinction between the two terms either faced conflicts with other predecessors or successors or suggested a solution without practical implementation. Therefore, this research aims to provide a clear boundary with a practical application model from a school that played a role in the renewal of modern Arabic poetry. The researcher endeavours to ascertain whether the innovative renewal has its roots in the theoretical rules and aesthetic tastes established by previous scholars or if it contradicts them. The significance of this research lies in its ability to uncover how the topic is addressed and the perceptions held by both grammarians and rhetoricians regarding the two terms and related concepts. The researcher, while explaining and analysing the findings of these scholars, presents their viewpoints with defense, love, and a positive interpretation of their intentions. The researcher discusses the evidence provided by these scholars, weighing some, supporting others, and interpreting certain aspects differently. The researcher concludes that the two terms converge in meaning while diverging in other aspects. There is no contradiction among the scholars regarding what they mentioned, despite being misunderstood and

falsely accused by those who went beyond the limits of civility in their criticism. However, the earlier scholars based their usage on the understanding and awareness of the recipient of the discourse. The researcher supports their argument with a range of practical examples derived from the poetry of the Apollo School.

Keywords: *Deletion, Implication, Rhetoricians, Grammarians, Poets*

المُقدِّمَةُ:

الحمدُ لله الذي علم بالقلم، علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلم، والصلاةُ والسلامُ على المبعوثِ رحمةً للعالمينَ، رسولِ الإلهِ المستضاء بنوره، عليه الصلاة والسلام بالضحى والأصائل، وعلى آله وصحبه، ومَن سار على نهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد،،،

فإنَّ الحذفَ ظاهرةٌ لُغويَّة عامَّة ومشتركة بين جميع اللغات الإنسانيَّة؛ حيث يميل الناطقون بها إلى حذْف بعض العناصر بُغية الاختصار، أو حذف ما قد يُمكن للسامع فَهْمه اعتمادًا على القرائن المصاحبة: حاليَّة كانت أم عقليَّة، كما أنَّ الحذف قد يَعتري بعض عناصر الكلمة الواحدة، فيُسقط منها عنصرًا أو أكثر؛ ولكلٍّ دلالته وغرضه. وإنَّ مِنْ سُنن العرب وعاداتهم في الكلام الحذفَ والاختصارَ، ومن روعة وعجيب اللُّغةِ العربيَّة وبلاغتها أنَّ الكلام قد يكون في غاية البيان والوضوح إذا حُذِفَ من أركانِ الجملة أو متعلقاتها شيءٌ، فبلاغة القولِ كما تكون في ذكر أركان الكلام، تكون كذلك في الحذف، طالما أنَّ المقام يقتضي ذلك والحال يطلبه، وما أكثر ما يفيده الحذف عند تأمله من أسرار ونكات يدركها المتذوق بقلبه ولُبِّهِ، وإن لم يُفصح عنها بلفظه ولسانه.

وقد شغلت تلك الظاهرة العلماء على اختلافِ وتنوُّعِ تخصصاتهم، من نُحاةٍ وصرفيين، وبلاغيين وغيرهم، وقد أولاها الجميعُ اهتمامًا بالغًا؛ فالنحويون تناولوا ظاهرة الحذفِ بالعناية والاهتمام والتفصيل في كثيرٍ من أبوابِ النحو ومسائله. وكذلك أولى البلاغيون تلك الظاهرةَ اهتمامًا بالغًا؛ إذ جاء حديثُهم عن تلك الظاهرةِ في حديثهم عن (أحوال المسند إليه، وأحوال المسند، وأحوال المتعلقات)، ولم يقف الأمرُ عند ذلك، فدرسوها أيضًا عند حديثهم عن أحوال الجمل في باب الإيجاز، فكان

اهتمامهم بتلك الظاهرة بالغًا، إلى الحد الذي حدا بشيخ البلغاء أن يقول منوهًا بشأن الحذف ومبرزًا قيمته البلاغية:"«هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للافادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبِن، وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر»"[1]. وقد أسماه "ابنُ جني –رحمه الله–" شجاعة العربيَّة[2]؛ فعناية البلاغيين بتلك الظاهرة تفوق غيرهم من العلماء؛ لما لها من دورٍ بارزٍ وأثرٍ واضحٍ في إثراء المعنى، وجمال العبارة.

ويؤكد عبدالقاهر – رحمه الله– على أهمية الحذف وبلاغته فيقول بعد تحليل مجموعة من الأبيات: «فتأمل الآن هذه الأبيات كلها واستقرها واحدًا واحدًا وانظر إلى موقعها في نفسك وإلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها ثم قلبت النفس عما تجد وألطفت النظر فيما تحس به. ثم تكلف أن تردّ ما حذف الشاعر وأن تخرجه إلى لفظك وتوقعه في سمعك فإنك تعلم أنّ الذى قلت كما قلت، وأن ربّ حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد»[3].

وكان من مظاهر تلك العنايةِ وذلك الاهتمام أن تعددت المصطلحات التي تدلُّ على تلك الظاهرة؛ فجاء مصطلحُ الإضمارِ ليمثلَ رأس ومقدمة تلك المصطلحاتِ؛ فقد استعمل جُلُّ النحويين مصطلحي الحذف والإضمار أحدهما مرادفًا للآخر، في حين استعمل جُلُّ البلاغيين مصطلح الحذف وحده، وقد أشار قسم من العلماء إلى أن هناك فرقًا بين مفهومي الحذف والاضمار، لكن عند مطالعة كتبهم لا يُلحظ هذا

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص١٤٩.

(٢) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي(المتوفى:٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، ج٢، ص٣٦٢.

(٣) دلائل الإعجاز، ص ١١٦.

الفرق، بل قد يأتي الاضمار يوضع موضع الحذف، والقول نفسه يقال عن الحذف، وقد يكون بينهما عموم وخصوص(١).

كما ظهرت كذلك مصطلحاتٌ أخرى أدت أحيانًا المعنى نفسه عند بعضِ العلماءِ؛ كالإسقاط، والترك، والاستتار، والاستغناء، وغيرها؛ وكان من آثار ذلك التوسع في الاستخدام أن شنَّ كثيرٌ من متلمسي الأخطاء ومظهري العيوب والتناقضات -في زعمهم- حملاتٍ انتقادية - بل تكاد تصل للسباب أحيانًا - على المتقدمين، وياليتهم بعد أن هاجموا وضعوا حلولًا، لكن ينطبقُ عليهم المثلُ العربيُّ الشهيرُ: "أَسْمَعُ جَعْجَعَة ولا أرى طحنا".

لذلك جاء البحثُ محاولًا وضعَ حدٍّ فاصلٍ لتلك الانتقادات فيمن يدعون خلط الأقدمين في استخدام المصطلحين، متلمسًا من أقوال العلماء -رحمهم الله تعالى-، ومن استخداماتهم، وفي إطار ما تدلُّ عليه المعاجم وكتب اللغة، بجانبِ محاولة التطبيق لما ذكره العلماءُ -رحمهم الله تعالى- من قواعد تنظيريَّة، وأخرى تذوقيَّة على شعر مدرسةٍ لها مكانتها في الشعرِ العربي الحديثِ.

والمتأمل فى شعرِ مدرسةِ أبولُّو يجد أن مظاهر الظاهرتين "الحذ، والإضمارُ" بارزة وشائعة في دواوين شعراء المدرسة، بصورة تسترعي الانتباه وتحذبه إلى الوقوف على صور هاتين الظاهرين بالدراسة والتحليل؛ فقد اجتمعت في شعر شعراء المدرسة على كثرتهم وتنوعهم جميع صور الحذف والإضمار المشهورة وغير المشهورة، بَدْءًا من حذفِ جزء الكلمة وحتى حذف الجمل، وكذلك التعبيرُ بالضميرِ

(١) التأويل النحوي في القرآن الكريم، عبد الفتاح أحمد الحموز، مكتبة الرشد، الرياض، دون طبعة، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م، ج١، ص١٣٤. (بتصرف).

موضعِ الظاهرِ –وهو المعنى الثاني للإضمار الذي ينفرد فيه عن الحذف–، وكان وراء كل نوع من تلك الأنواع غرضٌ بلاغيٌّ هدف إليه الشعراء.

أهدافُ البحثِ:

أولًا– العَلاقة الوثيقة بين المصطلحين، وادعاء كثيرٍ ممن يدَّعون الابتكارَ والتجديد أنَّ التراث اللغوي (وبخاصةٍ النحوي، والبلاغي) به كثيرٌ من التناقضات بل الأخطاء التي يجب أن تُصحح.

ثانيًا– القيمة اللغوية والبلاغية العالية لأسلوبي الحذف والإضمار في العربية؛ فهما –وبخاصةٍ الحذفُ– بابٌ شديدُ الاتساع مما لا نظير له في أية لغة من اللغات، حتى إنه ليتسع لكل ما يُفهَمُ من عناصر الجملة وأجزائها.

ثالثًا– ورود كثير من مواضع الحذف والإضمار في شعر مدرسة أبولُّو، وبخاصةٍ حذفُ المبتدأ بصورةٍ تتجاوز حد الإشارة العارضة إلى مستوى الظاهرة الواضحة.

رابعًا– قلة الدراسات اللغوية والبلاغية التطبيقية في شعر مدرسة أبولُّو، وبخاصةٍ فيما يتصل بجانب علم المعاني، فالشعر ظاهرة لغوية في وجودها، ولا سبيل إلى استيعابها وفهمها إلا من جهة اللغة.

خامسًا– الوقوف على مواضع الحذف والإضمارِ (حذف المبتدأ)، وأغراضهما في شعر مدرسة أبولُّو، مع محاولة إبراز أنَّ اللغة كلٌّ متكاملٌ لا غنى لفرعٍ أو جانبٍ على آخر، ومحاولة إثبات ذلك من خلال إبراز التفاعل بين ظاهرتي الحذف والإضمار مع العناصر الدلالية في شعر شعراء المدرسة، فكما يمد العنصرُ النحويُّ العنصرَ الدلاليَّ بالمعنى الأساسي في الجملة الذي يساعد على تمييزه وتحديده، يمد العنصرُ الدلاليُّ العنصرَ النحويَّ كذلك ببعض الجوانب التي تساعد على تحديده وتمييزه، فبين الجانبين أخذ وعطاء وتبادل مستمر.

منهج البحث، وحدوده:

يعتمد الباحثُ في بحثه على المنهج الوصفي الذي يعتمد على تتبع الظاهرة اللغوية (ظاهرتي الحذف والإضمار) واستقرائهما، ووصفهما، مع مراعاة التحليل اللغوي للظواهر المستقرأة.

. **حدود الدراسة:**

وقد حاولَ الباحثُ في بحثه تتبُّعَ صور الحذف وأغراضه في شعر أشهر شعراء المدرسة، وقد اقتصر الباحثُ في بحثه على -حذف وإضمار المبتدأ- فقط دون بقية الأشكال؛ إذ هو أكثرُ أشكال صور الحذف في المدرسة، كما أنه -في رأي الباحثِ- يمثلُ صورة لأكثرِ أغراضِ الحذفِ والإضمار الأخرى التي تكررت في الأشعار؛ محاولًا الوقوف على أبرز أغراضِ هذا الشكل من التركيب عند شعراء المدرسة، ومحاولًا استيضاح دلالاته المختلفة تبعًا للسياقات المقاميَّة التي ورد فيها، مُعتَمِدًا على المنهجِ الاستقرائيِّ في اختيار الشواهد، ثُمَّ المنهج التحليليِّ.

وقد جاء هذا البحثُ في **مقدمة**: بها أهمية الموضوع، وأهدافه، ومنهجه، وحدوده،. يليها **الفصل الأول**: وهو عن حذف وإضمارُ المبتدأ في شعر مدرسة أبولُّو؛ أي سقوطه. وتبعه **الفصل الثاني**: وهو عن إضمار المبتدأ في شعر مدرسة أبولُّو؛ أي التعبير به بصورة الضمير. وأخيرًا جاءت **الخاتمةُ**

والله الموفِّقُ والمستعانُ.

الفصلُ الأول
حذفُ وإضمارُ "المبتدأ" عند مدرسة أبولُّو

- **توطئةٌ:**

مما يحذفُ ويُضمر من المفردات (الاسم)، وقد ورد حذف الاسم في اللغة العربية كثيرًا، ويتجلى ذلك في عدة أحوال منها: يشمل حذف المفردات في اللغة العربية، حذف الاسم، إذا كان مرفوعًا كالمبتدأ، والخبر. كما يشمل حذف الاسم إذا كان منصوبا، كحذف المفعول به، وحذف المضاف، كما يشمل حذف الاسم إذا كان مجرورا، كحذف المضاف إليه. ومن الأسماء التي تحذف أو تضمر (المبتدأ، والخبر). وقد أشار أصحاب كتب معاني القرآن وإعرابه إلى هذا النوع من الحذف وذكروا أنه يكثر في القرآن الكريم، واللغة العربية[١]. والمبتدأ والخبر من مرفوعات الأسماء، ومرفوعات الأسماء تسعة، هي: "المبتدأ، الخبر، الفاعل، نائب الفاعل، اسم الفعل الناقص، واسم أحرف (ليس)، وخبر الأحرف المشبهة بالفعل، وخبر (لا) النافية للجنس، والتابع للمرفوع"[٢].

والمبتدأ ركن رئيس في بناء الجملة الاسمية، وهو عمدة في الكلام، ويسمي العلماء إسقاطَ المبتدأ إضمارًا وليس حذفًا لِمَا له من أثر في معموله الذي هو الخبر، وإضمارُ المبتدأ له معنيان؛ إذ قد يعني: إمَّا استخدامه كضمير بارز –وهو ما سيأتي الحديثُ عنه في الفصل السابع والأخير من هذه الدراسة إن شاء الله، والذي خُصِّصَ

---

(١) للمزيد يُنظر: الخصائص، ابن جني، ج2، ص٣٦؛ ومغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، ج١، ص٨٢٢؛ والأشباه والنظائر، ج٢، ص٤٩.

(٢) جامع الدروس العربية، ج٢، ص١٥٠.

للحديث عن الإضمار بمعناه الثاني وهو التعبير بالضمير-، وإمَّا حذفه -وجوبًا أو جوازًا- مع تقديره.

هذا ويحذف المبتدأ في كلام العرب كثيرًا، وقد يحذف المبتدأ جوازا كما قد يحذف وجوبا، وقد اشتملت لغة العرب على النوعين من الحذف؛ فقد حذفت العرب من كلامها المبتدأ، حيث رأوا في ذلك خدمة للمعنى الذي يريدون، وَفق قواعد وأصول وضعها النحاة والبلاغيون، معتمدين على القرآن الكريم وفصيح كلام العرب، فحددوا مواضع الحذف وبينوا أسبابه البلاغية، ووضعوا لها قواعد فجاء حذفه جوازا وتارة أخرى وجوبا.

وقد تناول هذا الحذف كثير من العلماء منهم عبدالقاهر الجرجاني الذي تحدث عن حذف المبتدأ وما يكون من الحسن في حذفه وعدم إظهاره. ولا يكون حذفه إلا مفردا، والأحسن حذف الخبر؛ لأن منه ما يأتي جملة. ومن المواضع التي يحسن فيها حذف المبتدأ على طريق الإيجاز قولهم: الهلال والله، أي هذا الهلال والله[(١)]. وقد تناوله ابن جني في كتابه الخصائص وهو يمثل لحذفه بقوله: "وقد حذف المبتدأ تارة، نحو: هل لك في كذا وكذا، "أي: هل لك في حاجة أو أَرَب، وكذلك قوله عز وجل: {كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭ بَلَٰغٞۚ}، أي ذلك، أو هذا بلاغ وهو كثير[(٢)].

فحذف المبتدأ في الكلام سلوك لغوي تكلم به الموثوق بعربيتهم، وبتتبع حذف المبتدأ في القرآن الكريم، فإن له مثلة كثيرة لا حصر لها؛ فقد ورد حذف المبتدأ في كلام العرب، حيث رأوا ذلك مناسبة للمعنى الذي يرمون إليه، وكان ذلك وفق قواعد

---

(١) المثل السائر: ٨٩/٢، والبلاغة والتطبيق: ١٩٤.

(٢) [سورة الأحقاف، الآية: ٣٥]. وللمزيد يُنظر: الخصائص، ابن جني، ج٢، ص362.

وأصول بيَّنها النحاة فيما بعد استنباطًا من كلامهم؛ فحددوا مواضع الحذف وبينوا أسبابه، ووضعوا لها القواعد والحدود التي لا ينبغي تجاوزها، فكانت مواضع الحذف الجوازية والوجوبية.

وما من حذف للمبتدأ –وجوبًا أو جوازًا– إلَّا وله غرضه البلاغي الذي يأتي من أجله، فالجرجاني يرى أن حذفه في الكلام أحسن من ذكره؛ حيثُ يقولُ عبدالقاهر الجرجانيُّ –رحمه الله تعالى– بعد تحليله لمجموعة من الأبيات التي حذف أو أُضمر فيها المبتدأ معقِّبًا: "ألا ترى أنك ترى النفس كيف تتفادي من إظهار هذا المحذوف، وكيف تأنس إلى إضماره، وترى الملاحة كيف تذهب إن أنت رشت التكلم به. وإذا قد عرفت هذه الجملة من حال الحذف في المبتدأ، فاعلم أن ذلك سبيله في كل شيء، فما من اسم أو فعل تجده قد حذف، ثم أصيب به موضعه، وخذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها، إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وأحسن من النطق به"(١).

وحذف المبتدأ كثيرٌ جدًّا وواقع في العربية(٢)، وتحقّق به العربيةُ أغراضا دلالية كثيرة عند حذفها للمبتدأ، ومن بين هذه الأغراض ما ذكره الخطيب القزويني: "وأمّا حذفه فإمّا لمجرد الاختصار، والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر ووجود قرينة تدلَّ على المحذوف، وإمّا لذلك مع ضيق المقام، وإمّا لتخييل أنّ في تركه تعويلا على شهادة العقل، وفي ذكره تعويلا على شهادة اللفّظ من حيث الظّاهر، وإمّا لاختبار تنبّه السّامع له عند القرينة، أو مقدار تنبّهه، وإمَّا لوضوحه لدى المخاطب، وإمَّا للتعظيم أو للتحقير، وإمّا لإيهام أنّ في تركه تطهيرا له عن لسانك أي للدلالة على التنزيه، أو تطهيرا للسانك عنه أي لصيانة اللسان عن التلفظ

(١) للمزيد يُنظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ج١، ص١٥٣.

(٢) للمزيد يُنظر: الخصائص، ابن جني، ج2، 362.

بالمحذوف، وإمّا ليكون لك سبيل إلى الإنكار إن مسّت الحاجة إليه، وإمّا لأنّ الخبر لا يصلح إلّا له حقيقة أو ادّعاءً، وإمَّا للدّلالة على التوكيد وكمال التّحقّق، وإمَّا للدّلالة على صدمة نفسية محزنة، وإمَّا للدلالة على صدمة نفسية مفرحة، أو الدّلالة على التّهويل والتّخويف، أو لتعجيل المسرة أو المساءة، أو للتحبّب والقرب النّفسيّ، أو للدلالة على التّعجيل والإسراع في فعل الخير من غير فاصل لفظيّ، أو للخوف من فوات فرصة سانحة ..."[١].

كما بيَّنَ النُّحاةُ أغراض الحذف في الجملة المنسوخة؛ فذكروا أنها تتعدّد، وأكثر أغراض الحذف في الجملة المنسوخة هي أغراض حذف المبتدأ والخبر ذاتها ... ولعلّ من أبرزها: "التّخفيف: وقد بين ذلك سيبويه –رحمه الله تعالى–، فذكر أنّ خبر (كأنّ) يحذف للتّخفيف والاكتفاء بعلم المخاطب بالمعنى، وللضرورة الشّعرية: كحذف كان واسمها شذوذا بعد (لدن)، وللعلم الواضح بالمخاطب، وللاختصار والاحتراز عن العبث بناءً على الظّاهر، وللتّعظيم: ويتبين أنّ حذف الخبر يدلّ على التعظيم، عندما يكون تقديره موجود أو كائن سواءً في الجملة الاسمية المجردة أم في الجملة المنسوخة"[٢].

---

(١) للمزيد يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: محمّد عبدالقادر الفاضلي، شركة أبناء شريف الأنصاري للطّباعة والنشر والتوزيع، المكتبة العصرية – صيدا، بيروت . لبنان، د.ط، 2009م، ص45. والحذف في النّحو العربيّ، تمام حمد عيد المنيزل، ص77. ومصطفى شاهر خلوف، ص179، 180.

(٢) للمزيد يُنظر: الكتاب، سيبويه، ج٢، ص45. والحذف في النّحو العربيّ، تمام حمد عيد المنيزل، ص٩٩. ومصطفى شاهر خلوف، ص١٩٠.

هذا وكما يدخل الحذف على الجملة الاسمية البسيطة المجردة، فهو كذلك يصيب الجملة الاسمية البسيطة المنسوخة[١]؛ وبالتالي فإنَّ الحديثَ عن حذفِ المبتدأ يشملُ الحديثَ عن حذف اسم كان وأخواتها[٢]، وحذف اسم ليس وأخواتها[١]، وحذف اسم إن وأخواتها[٢].

---

(١) تدخل النّواسخ على الجملة الاسمية فتحوّلها إلى جملة منسوخة، سواءً أكانت أفعالا (كان وأخواتها) أم أحرفا مشبّهة بالفعل؛ فتحصل تحوّلات في الجملة المنسوخة تركيبا ودلالة، ولكنّها تحافظ على النّظام العام للجملة الاسمية؛ فهي تتكوّن من مسند ومسند إليه، وهما: اسمها وخبرها، ويصيب الحذف أركان الجملة المنسوخة، ومن النّواسخ ما يرفع الأول وينصب الثاني، ومنها ما يبقي الأوّل مرفوعا وينصب الثّاني، وفي كلتا الحالتين يكون الأوّل اسم ذلك النّاسخ والثّاني خبره. للمزيد يُنظر: الحذف في النّحو العربيّ، تمام حمد عيد المنيزل، ص77. ومصطفى شاهر خلوف، ص179، 180.

(٢) يقع الحذف في جملة كان وأخواتها فيصيب إمّا فعلها أو اسمها أو خبرها، فتحذف كان مع اسمها باطراد ويبقى الخبر، بعد (لو) و(إن) الشّرطيتين جوازا، كذلك يُحذف اسمها، واسم كان من مرفوعات الأسماء وهو في أصله مبتدأ يكون مع خبره جملة اسمية دخلت عليه إحدى النواسخ، فاحتفظ هو بإعرابه ووقع التغيير على خبره، ويحذف اسم كان من الجملة كما جاء في اللغة العربية بنصوصها والآيات القرآنية وبقية كتب الحديث والآثار فيها الكثير من الجملة التي حذف منها اسم كان، وقد وقع الخلاف بين النحويين حول حذف اسم كان وأخواتها، فذهب أبو حيان إلى عدم جواز حذف اسم كان وأخواتها لأنّه مشبّه بالفاعل، قال أبو حيان: نص أصحابنا على أنه لا يجوز حذف اسم كان وأخواتها ولا حذف خبرها إلا اختصارًا ولا اقتصارًا أما الاسم فلأنه شبه بالفاعل، أمّا (لات) فقد ذهب أكثر النّحويين إلى جواز حذف اسمها، إلا أن هذا المنع وجد عكسه وهو أن اسم كان قد حذف في كثير من النصوص". وقد ذهب النّحاة في جواز عملها في مذهبين: المذهب الأوّل: تعمل. وممّن أثبت عملها نذكر سيبويه، وقد نقل ابن هشام إجماع العرب على عملها، إلا أنّ النّحاة اختلفوا في ذلك. فقد ذكر الرّازي أنّ لات لا تدخل إلا على الأحيان، ولا يبرز إلا أحد جزأيها، إمّا الاسم وإمّا الخبر، وقال سيبويه: تعمل (لات) عمل (ليس)، واسمها محذوف وتقديره: (الحينُ)، فيكون التّصوّر بذلك: لات الحينُ حينَ ←←←

وحذفُ المبتدأ في شعر مدرسة أبولُّو كثيرٌ، ولذلك الحذف مواضعٌ وأغراضٌ:

- **حذفُ وإضمارُ المبتدأ (مواضعُه، وأغراضُه):**

يحذف المبتدأ من الكلام في العربية بكثرة، ويكون هذا الحذف على حالتين:

→→→

مناص. والمذهب الثّاني: لا تعمل؛ وهي فيما ذكر مهملة، والاسم الذّي بعدها إن كان مرفوعا فهو مبتدأ، وإن كان منصوبا فهو منصوب على إضمار الفعل مثل: لات حين مناص. فقدّروا المحذوف بقولهم: لات أرى حينَ مناصٍ. للمزيد يُنظر: همع الهوامع، ج١، ص١١٦. وجامع الدروس العربية، ج٢، ص١٦٧- ١٦٨.

(١) اسم ليس من مرفوعات الأسماء وقد وقع محذوفًا حتمًا في الكثير من النصوص العربية. للمزيد يُنظر: همع الهوامع، ج١، ص١١٩. وجامع الدروس العربية، ج٢، ص١٧٥- ١٧٨.

(٢) يعدّ حذف اسم إنّ وأخواتها أقلّ إذا قورنت بحذف اسم (كان) وأخواتها أو خبرها، وقد جاء اسم إن محذوفًا في الكثير من نصوص العربية سواء أكانت هذه النصوص نثرًا أم شعرًا، واحتدم الخلاف بين بعض النحاة بشأن حذف اسم إن، فقال البعض: إنه لا يحذف إذا كان ضمير الشأن، بينما وُجِدَ الجواز لحذف الاسم بشكل أوسع عند السلسيلي عندما قال: (يجوز حذف الاسم في هذا الباب عند فهم المعنى، ولا يُخصّ بالشعر بل هو فيه أي في الشعر أكثر من النثر، ومن حذفه في النثر ما حكى سيبويه: (إن بك زيدٌ مأخوذٌ)، برفع (زيد)، فالتقدير: إنّه زيدٌ بك مأخوذ، والمحذوف هنا ضمير الشّأن، ولا يخفى أنّ المحذوف لا يتوقف عليه إدراك المعنى دون التّقدير المذكور. وحكى الأخفش: (إن بك مأخوذٌ أقوالك). وحذفه وهو ضمير الشأن أكثر من حذفه وهو غيره فكذلك قال المصنف: وعليه يُحمل قول النبي -ﷺ-: "إن من أشدِّ الناس عذابًا يوم القيامة المصورون". لا على زيادة (من) خلافًا للكسائي. فالأصل: إنه من أشدِّ الناس، فحذف الاسم وهو ضمير الشأن وإنما تكلف الكسائي زيادة (منْ) لأن مذهبه يمنع حذف الاسم الضمير في مثل هذا التركيب، والسماع يردُّ عليه، وأيضًا فالمعنى يَفْسَدُ على تقدير الزيادة إذ يصير: إن أشدّ الناس عذابًا يوم القيامة المصورون، وليس كذلك إذْ غيرهم أشدُّ عذابًا". البخاري، (٥٦٠٦)، ومسلم (٢١٠٩). والنسائي، كتاب الزينة (٥٢٦٩). وللمزيد يُنظر: شفاء العليل في إيضاح التسهيل، ج١، ص٣٥٤. والمغني في النحو، ج٣، ص١٥٠.

الحالة الأولى: وهي حذف المبتدأ وجوبًا؛ إذ يرى النّحاة أنّه يجب حذف المبتدأ في أربعة مواضع[١]:

١. إن دلّ عليه جوابُ القسم، فيكون الخبر صريحا في القسم، نحو: (في ذمتي لأفعلنّ كذا) أي: في ذمتي عهدٌ أو ميثاق أو يمينٌ. فشبه الجملة (في ذمّتي) خبر لمبتدأ محذوف وجوبا مقدّر بأحد هذه الألفاظ: (يمين، عهد، ميثاق).

٢. إن كان خبره مصدرًا نائبًا عن فعله؛ أي في المصادر التي انتصبت توكيدًا للجملة نفسها إذا رُفِعت، فعلى إضمار مبتدأ لا يجوز إظهاره، وذلك بأن يكون الخبر مصدرا يؤدي معنى فعله، ويغني عن التّلفظ به، كقول الله تعالى: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ}[٢]. فـ (الفاء) عاطفة، و(صبر) خبر لمبتدأ محذوف وجوبا؛ حيثُ يُقدَّر: صبري صبرٌ جميلٌ. و(سمع وطاعة)، أي: أمري سمعٌ وطاعةٌ[٣]. فكلّ من (سمع) و(صبر) خبر لمبتدأ محذوف، إذ أنّ الأصل الأصيل في المثال الأول: اصبر صبرا جميلا، والمصدر مفعول مطلق لـ (اِصبر)، ثمّ حذف الفعل وجوبا للاستغناء عنه بالمصدر الذّي يؤدي معناه، ثمّ ارتفع المصدر ليكون أوقع في التّعبير، ويخرج نحويا على أنّه خبر لمبتدأ محذوف، وبذلك تتحوّل الجملة من فعلية إلى اسمية لتفيد والدّوام والثّبوت[٤]. ونحو قول الله تعالى أيضًا: {وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ

(١) ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م، ج٣، ص١٠٨٦.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٨.

(٣) الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبدالرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٤، ١٤١٨هـ، ج١٣، ص٤٧.

(٤) جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ص٣١١.

تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾}[1]، فلو قيل: صنعُ الله، فالمعنى: ذلك صنعُ الله، ولا يُذكر المبتدأ. ونحو: سقيًا لك ورعيًا لك، فالمصدر نائب عن لفظ فعل الأمر وعن معناه، وجاءت بعده شبه الجملة (الجار والمجرور) خبرًا لمبتدأ محذوف؛ إذ لا يصحّ تعلقّ الجار والمجرور بالمصدر[2].

٣. في باب المدح والذّمّ؛ أي إن كان الخبر مخصوصًا بالمدح أو الذَّمِّ بعد (نِعْمَ)، و(بِئْسَ)، مؤخرًا عنهما، نحو: نِعمَ الرجل أبو طالب، وبئس الرجل أبو لهب، فأبو في المثالين خبرٌ لمبتدأ محذوف تقديره: هو[3]. وذلك نحو قول الله

---

(١) سورة النمل، الآية: ٨٨.

(٢) علي أبو المكارم، ص٢٥١.

(٣) يقوم أسلوب المدح أو الذم كما هو واضح على عناصر ثلاثة ما يهمنا منها، هو المخصوص بالمدح أو الدم، والذي يقصد به الاسم الخاص المعين المذكور بعد الاسم العام (الفاعل)، الذي تمدحه الجملة أو تذمه، وغرضه في التركيب تقوية الحكم وتوكيده، وفي إعرابه أوجه:

الوجه الأول: وهو أن تجعل المخصوص بالمدح أو الذم مبتدأ خبره جملة المدح أو الذم المتقدمة عليه، وفي هذه الحالة كأنك قلت: عبد الله نعم الرجل، لكن الذي يشكل هنا هو أن جملة الخبر ليس فيها ما يعود على المبتدأ، ويرد هذا بقولنا: إن الألف التي تستغرق الجنس قامت مقام العائد. وهذا هو مذهب سيبويه، ولا يجيز غيره.

الوجه الثاني: المخصوص بالمدح أو الذم مبتدأ خبره محذوف وجوبا، وهو مذهب ابن عصفور، قال في شرح التسهيل: "وهو غير صحيح، لأن هذا الحذف لازم، ولم نجد خبرا يلزم حذفه إلا ومحله مشغول بشيء يسد مسده".

الوجه الثالث: وهو الوجه الذي يتسق مع ما ذكرناه عن حالة حذف المبتدأ، ويكون بتقدير المبتدأ وحذفه واجب والمخصوص خبر عنه. وهذا مذهب أبي علي والسيرافي والصيمري"، ويرى ابن هشام أنه إذا حصل حذف في هذا المقام فإنه من باب حذف المبتدأ.

←←←

تعالى: {يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ﴿٩٨﴾}[1]؛ فالمبتدأ محذوف وجوبا تقديره: هو المورود. وفي قول الله عز وجل: {وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ﴿٩٩﴾}[2]؛ فالمبتدأ هنا محذوف تقديره: هو المرفود. وقد ذكر النحاة في "نِعْمَ، وبِئْس" أن فاعلها اسم مرفوع هو المخصوص بالمدح أو الذم، وفي إعرابه وجهان: أحدهما أنه

←←←

الوجه الرابع: المخصوص بالمدح أو الذم بدل من الفاعل، وهذا مذهب ابن كيسان، وليس البدل بلازم، ثم لأنه لا يصلح لمباشرة نعم أو بئس". ونرى أن البدل هنا فيه نظر؛ لأنه يحدث خللا في تركيب أسلوب المدح أو الذم، وقد يخرجه عن الغرض الذي جاء من أجله.

فهذه الوجوه الأربعة التي تناولت المخصوص بالمدح أو الذم لا تقل من حيث الأهمية بعضها عن بعض، ولك أن تختار ما شئت من هذه المذاهب دون أن تحذف أيًّا منها. ويذهب الباحث إلى ما ذهب إليه ابن عقيل في أن أحسن الآراء وأقربها إلى اليسر هو أن تجعل المخصوص بالمدح أو الذم مبتدأ – تأخر أو تقدم –، وخبره الجملة الفعلية المكونة من فعل المدح وفاعله. للمزيد يُنظر: كتاب الجمل في النحو: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق: د. علي محمد، مؤسسة الرسالة ودار الأمل، ط١، ١٩٨٤م، ص١٠٨. والأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج البغدادي، تحقيق: عبد الحسنين المفتي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٥م، ج١، ص١١٢. وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ج٢، ص١٩٧. وحاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الصبان، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركاه، ج٣، ص٣٧. وأوضح المسالك، ابن هشام، ج١، ص١٥٤، وج٢، ص٢٨٨. وشرح التصريح على التوضيح، الشيخ خالد الأزهري، ج١، ص١٧٧.

(١) سورة هود، الآية 98.

(٢) سورة هود، الآية 99.

مبتدأ، والجملة قبله خبر عنه، والثاني: أنه خبر مبتدأ محذوف وجوبا[١]. بينما يرى آخرون، أن فاعل بئس: الورد والمورود نعت له والمخصوص بالذم محذوف تقديره: بئس الورد النار، كما يجوز أن يكون المورود هو المخصوص بالذم[٢]، وعلى ذلك القول يكون خبرين والمبتدأ محذوف وجوبا، والتقدير: هو المورود في الآية الأولى، وهو المرفود في الآية الثانية.

٤. بعد (لا سيِّما) إذا ارتفع الاسم بعدها، نحو: أحب المخلصين لاسيما زيدٌ، والتقدير: ولاسيما هو زيدٌ. ونحو: أحب الشّعراء لا سيما أبو العلاء، فيكون أبو العلاء خبرا لمبتدأ محذوف (هو)، فيكون تقدير الكلام: أحبّ الشّعراء لا سيّ الذّي هو أبو العلاء[٣].

٥. وقد أضاف البلاغيون موضعًا خامسًا يكثرُ فيه حذفُ المبتدأ، حتى صارَ موضعًا من مواضع الوجوب؛ وهو في مقام القطع والاستئناف: أي النّعت المقطوع إلى الرّفع؛ أو بعبارة أخرى المبتدأ الذّي خبره في الأصل نعت، ثمّ ترك الأصل وصار خبرا: نحو: رحم اللهّ زيدًا المسكينُ (بالرّفع)، فيكون (المسكين) خبرا لمبتدأ محذوف وجوبا، تقديره: هو، وبذلك تكون الجملة الاسمية (المكوّنة من المبتدأ المحذوف والخبر) في محلّ نصب نعت.

حيثُ يعمد الشعراء إلى حذف المبتدأ في الجملة الاسمية في مقام القطع والاستئناف بكثرة بالغة في جميع أجزاء البيت الشعري؛ وذلك لبث الحركة والحيوية في

---

(١) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، ط٢، ج٣، ص167.

(٢) للمزيد ينظر: العكبري أبو البقاء عبدالله بن الحسين، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط2، 1987م، ج٢، ص713.

(٣) علي أبو المكارم، ص251.

التركيب والابتعاد به عن رتابة التقرير، أو لكي يعمل على جذب انتباه السامع إلى الخبر لميزة فيه أو ليرتفع بالمبتدأ المحذوف إلى الغاية التي يريدها له، يقول عبدالقاهر الجرجاني: "يضمرون المبتدأ فيرفعون ... فالقطع والاستئناف من المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ؛ حيثُ يبدءون بذكر الرجل (مثلا) ويقدمون بعض أمره، ثم يدعون الكلام الأول (أي الحديث في أمر الرجل هذا)، ويستأنفون كلاما آخر (أي حديثا عن غيره). وإذا فعلوا أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ أي حذفوا المبتدأ، نحو: الحمد لله أهل المدح، أو في الذم، نحو: مررت بزيد الفاسق. أو ترحم، نحو: مررت ببكر المسكين"[(١)]، فيحذفُ المبتدأ إذا كان مُخبرًا عنه بنعت مقطوع لمجرد مدح، مثل: الحمدُلله أهلُ الحمد، أو ذم، مثل: مررت بزيد الفاسقُ، أو ترحم، مثل: مررت بزيد المسكينُ، والتقدير: الحمدُلله هو أهل الحمد، ومررت بزيد هو الفاسق ومررت بزيد هو المسكين.

ولعلَّ الفائدة الأبلغ من حذف المبتدأ في مقام القطع والاستئناف توجيه اهتمام المخاطب إلى الخبر؛ لأنّه مقصد الفائدة، ويحصل ذلك عند حذف المبتدأ عند قطع المنعوت عن نعته، ففي قول القائل: "رحم لله عمرَ العادلُ" يريد المتكلمُ إظهار صفة العدل في (عمر)؛ لأنّ السّياق سياق مدح؛ "لذلك وجب على المتكلّم أن يقف على كلمة (عمر)؛ لأنّ ثمّة كلام جديد، يجب أن يشعر المخاطب به. وينبغي للمتكلم أن يستخدم القطع والاستئناف عند نطق الجملة السابقة لتحقيق هذا الغرض. فقطع النّعت عن منعوته في سياق المدح أو الذّم أو التّرحم يدلّ على توجيه اهتمام المخاطب إلى الخبر؛ لأنّ المتكلمّ يقف على المنعوت المقطوع عن نعته كي يتوجّه اهتمام المخاطب إلى ما بعد القطع[(٢)].

---

(١) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ص١١٣، وأوضح المسالك ابن هشام، ج١، ص١٥٣.

(٢) الحذف في النّحو العربيّ، تمام حمد عيد المنيزل، ص76.

وقد أضاف صاحب الكافية حالة رابعة، وهي: حالة التشنيع، نحو: مررت بزيد الغاصب حقي[١]. ويؤكد السيوطي التزام النحويين بحالات القطع الثلاثة أو الأربعة. وفي خلاف ذلك يجوز لك أن تقطع فتحذف المبتدأ، ولك أن تذكره[٢]. والقطع في رأي الأزهري على تقدير سؤال سائل، يقول: من هو؟ أو من تعني؟ فما كان يصح فيه القطع إلى النصب التزموا إضمار الناصب أمارة على أنهم قصدوا إنشاء المدح، أو الذم، أو الترحم، كما فعلوا في النداء، ومن أجرى الرفع مجرى النصب أي قطعه إلى الرفع، كان على تقدير: مبتدأ محذوف وجوبا"[٣].

ويرى د/ كمال بشر أن النعت المقطوع ليس جزءا من جملة محذوف جزؤها الآخر، وإنما هو في رأيه جملة بذاتها، ولكنها جملة ذات طرف واحد، وذلك قولنا: مررت بزيد الكريم، أما كون كلمة الكريم في مثالنا جملة فلأنها وحدة لغوية بها يتم الكلام في الموقف المناسب، مع تحديدها أو إمكانية تحديدها بوقف سابق ولاحق[٤].

وللباحث وقفة مع ما قاله د/ كمال بشر؛ إذ إن كلمة "الكريم" من خلال المثال الذي ساقه هي في واقع الحال جملة، حسب ما تفرضه القواعد النحوية من ضرورة وجود جزأين في تركيب الجملة العربية، وأركان ثلاثة في العمل النحوي؛ بحيث إذا لم يوجد سوى أحد ركني الجملة وجب تقدير الركن الآخر منها، وكذلك إذا فقد أحد أطراف العمل لزم تقديره حتى تلتقي أطراف المثلث. أما أن تكون كلمة "كريم" وحدها جملة، فإن لدى الباحث في ذلك وجهة نظر، وإلا فما الذي جعل كمال بشر أن يضع

---

(١) شرح الكافية، الرضي، ج١، ص١١٧. ويرى الباحثُ أن حالة التشنيع هذه قد تنضوي تحت الذم؛ لأن المشنع به كما في المثال –الغاصب حقي– هو نفسه المخصوص بالذم.

(٢) همع الهوامع، السيوطي، ج١، ص١٠٤.

(٣) شرح التصريح على التوضيح، الشيخ خالد الأزهري، ج٢، ص١١٧.

(٤) علم اللغة العام – الأصوات –، د. كمال بشر، دار المعارف – مصر، الطبعة السابعة، ١٩٨٠م، ص١٩٣.

تحديداته في النص؛ فالموقف المناسب، والوقف السابق واللاحق كلها مؤشرات سياقية تفرض تقدير المحذوف(١).

وفي موطن آخر يرى الدكتور كمال بشر أنه لا يجوز أن يكون الكلام نعتا على الحقيقة فقط في موقع معين، ويكون نعتا مقطوعا فقط في سياق آخر، ولا يصح النعت أو القطع في آن واحد(٢)، وهنا أثني على ما ذهب إليه من أن الموقف النفسي هو الفيصل في الأمر(٣).

هذا وقد يحذف المبتدأ كثيرًا في سياقات ومقامات أخرى تُفهم أغراضها من السياق، وهذه السياقات قد تحدث عنها البلاغيون؛ حيث يُحذفُ المبتدأ رغبة في إظهار الصفة التي يذكرها من خلال التصريح بها؛ إذ يكون الخبرُ هو الذي من أجله قد سيقَ، وقد ورد هذا الضرب من الحذف في شعر مدرسة أبولُّو بنسب كثيرة جدًّا؛ لتعدد أغراضه وسياقاته، فقد جعله شعراؤها مطلعًا يبتدءون به البيت؛ لذا تبدو هذه الظاهرة في صدور الأبيات، ومن هذه السياقات التي وردت في شعراء مدرسة أبولُّو:

١- الحذف في سياق المدح، أو التعظيم، أو التشريف:

فقد يحذف المبتدأ كثيرًا إذا كان الغرض منه المدح؛ رغبة في إظهار صفة المدح من خلال التصريح بها، ومن شعراء مدرسة أبولُّو الذين ورد في شعرهم مثل هذا النوع من الحذف الشاعرُ محمود أبو الوفا؛ حيثُ ورد ذلك النوع من الحذف في شعر أبي الوفا في قوله في قصيدة "صلاح الدين الأيوبي" (تام البسيط):

---

(١) للمزيد ينظر: الحذف في شعر أبي الطيب المتنبي -دراسة نحوية وصفية استقصائية-، زهير محمد عقاب العرود، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد – الأردن، ٢٠٠٤م، ص٢٧.

(٢) علم اللغة العام، د. كمال بشر، ص١٩٥.

(٣) للمزيد ينظر: الحذف في شعر أبي الطيب المتنبي -دراسة نحوية وصفية استقصائية-، زهير محمد عقاب العرود، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد – الأردن، ٢٠٠٤م، ص١٨.

رُوح البُطُولـة ... فـي أَسْمَى مَظَاهِرِهـا تمَثَّلـت فـي صَـلَاح الـدِّين إنسَـانا

عـذبُ الشـمائلِ، مثـلُ الأنبيـاءِ، صَـفا دمًـا، ورُوحًـا، وأمـالًا، ووجْـدانا[١]

والتقدير: هو عذب الشمائل. حيث حذف المبتدأ لاشتهاره بهذه الصفات، والعلم بها، ولتعظيمه بإظهار جميل صفاته بعد حذف المسند إليه (المبتدأ)، إلى جانب دلالة السياق حيث سبق التقدير به، فلا حاجة لذكره مرة ثانية.

وكقوله أيضًا في قصيدة "الإيمان" (الخفيف):

قُـوَّةٌ لَـمْ تُـتح لقِلْـب جَبَـان تلـك فـي المـرءِ قُـوَّة الإيمـان[٢]

والتقدير: الإيمان قوة. ولكن الحذف هذا للتعظيم والحذف أبلغ من الذكر؛ لأن السياق واضح من خلال البيت.

ومن الحذف في سياق التشريف أو التعظيم، قوله في قصيدة "أشواق" (مجزوء الكامل):

يـا حَـظُ مـن زارَ الحجـا زَ ويـا هَنَـاه يـا هَنَـا

فهُنـاك تغْتسـلُ القُلـوُ بُ مـن المَـآثِم فـي الـدُّنا

وهُنـاكَ تُكْتَحَـلُ العيـو نُ مـن التَّجَلِّـي والسـنَا

أَرضٌ بهـا نشـأ الحَبِيـ بُ مُحَمَّـدٌ واسـتوْطَنَا[٣]

---

(١) محمود أبو الوفا، «دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٢١.

(٢) محمود أبو الوفا، «دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٣٦.

(٣) محمود أبو الوفا، «دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م، ص١٧٧.

والتقدير: هي أرض بها نشأ الحبيب. وعدم الذكر أبلغ من الذكر، وفي هذا تعظيم الأرض؛ إذ أضافها إلى خير خلق الله محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي نشأ بها، ويا له من عظيم الشرف، هذا بالإضافة إلى دلالة السياق السابق عليه.

وكقولِ إبراهيم ناجي:

مُجنَّحةٌ صيغتْ من النور والندى ترفُّ على روضٍ، وتهفو إلى وردِ[1]

وكقوله أيضًا:

قبسٌ أضاءَ العالمين كما تضيء لهم ذُكاءْ[2]

وكقوله أيضًا:

صرحٌ من الأدب الصميم له على الدنيا البقاءْ[3]

فقد حُذِفَ المبتدأ في كل ما سبقَ ليبادر المتلقي بالمراد، والمقام في كل ما سبق مقامُ مدحٍ، فناسبه التصريح باللفظ.

٢- الحذف في سياق الذم، أو التحقير:

فقد يحذف المبتدأ كثيرًا إذا كان الغرض منه الذم؛ رغبة في إظهار صفة الذم من خلال التصريح بها، ومن شعراء مدرسة أبولُّو الذين ورد في شعرهم مثل هذا النوع من الحذف الشاعرُ محمود أبو الوفا؛ حيثُ ورد ذلك النوع من الحذف في شعر أبي الوفا في قوله في قصيدة "تحرر" (الطويل):

---

(١) شعر إبراهيم ناجي "الأعمال الكاملة"، إبراهيم ناجي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ، ص٢٤.

(٢) شعر إبراهيم ناجي "الأعمال الكاملة"، إبراهيم ناجي، مرجع سابق، ص٨٥.

(٣) شعر إبراهيم ناجي "الأعمال الكاملة"، إبراهيم ناجي، مرجع سابق، ص٨٦.

مـا قِيمَـةُ الـدُّنْيَا إِذا أَنـتَ عِشـتها ومـا لـك إلا أن تُطيـعَ وتُـؤمَرَا
مُوَظَـفُ. هـذا اللفـظُ وصـفٌ مقَنَّـع وفَحْـواه ذا شَـخصٌ يُبَـاعُ وَيُشْـتَرى[1]

والتقدير: أنت موظف. وهذا الحذف يدل على الذل والهوان والقيود؛ فالشاعر في هذه القصيدة يدعو إلى الحرية؛ فهو كارهٌ للقيود بكلِّ صورها، فأراد الإخبار عن الإنسان دون ذكره، رغبة في التنفير من قيود العمل التي تحدُّ من حرية الإنسان؛ فصرَّح بلفظ "موظف" كإشارة إلى مساوئ العمل أو الوظيفة، وهذا أبلغ، وذلك ما يدل عليه السياق في الأبيات. وقد دلَّ الحذف على أن الخبر هو المسوق له الكلام، فلذا لا داعي لذكره تحقيرا [2] وإهمالا له.

٣- الحذف في سياق الحزن والضيق والشكوى:

فيحذف المبتدأ كثيرًا في مثل هذه السياقات؛ فإذا كان الغرض من الكلام إظهار الحزن والضيق والضجر أو الشكوى؛ رغبة في إظهار مشاعر الحزن أو الضيق أو الألم وكنوعٍ من التنفيس عمَّا يُحسُّ به الشاعر من خلال التصريح به، ومن شعراء مدرسة أبولُّو الذين ورد في شعرهم مثل هذا النوع من الحذف الشاعرُ محمود أبو الوفا؛ حيثُ ورد ذلك النوع من الحذف في شعر أبي الوفا في قوله في قصيدة "كلمات" (تام البسيط):

الخيرُ فـي النـاس مَهمَـا الشَّرُ غالَبَـه بـاقٍ، وللنـاسِ يَبْقَـى الخيـر مُنتَظَـرًا
سِـر بصـدري تُخْفِيـه جوانحُـه تحـت الحنايـا يعـيشُ العُمـرُ مُغتَمِـرًا

(١) محمود أبو الوفا، «دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م، ص١٦.

(٢) ينظر مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص43.

سبعون عامًا وما شَعُرَت به شَفَتِي ولا لِسانِي بِه في مَرَّةٍ شَعُرَا[1]

والتقدير: بقاء الخير سر بصدري. فالشاعر هنا يذكر أن بقلبه سرًا عظيمًا، ألا وهو بقاء الخير، وهذا السر يخفيه طوال عمره، وما شعر به لسانه أو شفتاه فضلًا عن بنى الإنسان، وقد ملك عليه كل مشاعره وعواطفه فلم يستطع كتمانه فانفجر بصدره، فقد حذف المبتدأ لتعظيم هذا السر. وفى البيت الثالث حذف المبتدأ وتقديره: هي سبعون عامًا؛ لأنه أراد الإعلان عن عدد السنين التي احتفظ فيها بهذا السر فأراد الإخبار عن السنين دون ذكر المبتدأ مما يدل على كثرة هذه السنين، ويفهم من الحذف في البيتين رغبة الشاعر في التنفيس عمَّا يُحسُّ به من ضيق وألم ورغبة في الشكوى.

ومن الحذف في سياق الشكوى والضجر، قوله في قصيدة "أمواج" (تام البسيط):

لِمَ الحُرُوبُ وفيمَ الحَرِّبُ مُنذِرَةٌ أَلَيْسَ يكفي بنا أنْ مَرَّ حَرْبانِ

حرية الناس، هل رؤيا حقيقتها كانت وُجُودِيةً أَمْ حُلْمَ جَوْعَانِ[2]

والتقدير: هي حرية الناس؛ وذلك للتعظيم والإكبار لهذا المطلب الذي يطلبه جميع الناس بدلًا من القيود والاستعباد الذي عاش فيه كثير من الناس وعانوا فيه من ويلات الحربين الأولى والثانية، وفي التصريح نوعٌ من الضجر والضيق من العبودية التي يعاني منها ضحايا الحروب، وبخاصة أبناءُ الدول التي نُكبت ووقعت في أسر الذل والاستعباد، فالحذف كان أبلغ من الذكر.

---

(١) محمود أبو الوفا، «دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٢٦ – ٢٧.

(٢) محمود أبو الوفا، «دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م، ص١٩١.

ومن الحذف في سياق الضيق والضجر، قوله في قصيدة "الحقيقة" (تام البسيط):

يَـا للحقيقـة مـا لـي كُلمَّـا التجـأتْ رُوحِـي لَكُـم لـم تجدْ لـي عنَـدكم جَاها
ودِدْتُ لـوِ مَـرَّة فـي العُمْـر واحـدة وجـدتني بيـنكم فـي طُـور سـيناها
أمنيـــة طَالمـــا قَلْبـــيٍ تمَنَّاهـــا تُـرَى بهـا ألتْقـيِ أمْ لَسْـتُ ألقاهَـا؟[١]

والتقدير: هي أمنية. فهنا حذف المبتدأ لا لشيء سوى ضيق صدره لما يعتريه من ضجر وتوجع ناشئين من هم وغيره مما يعاني، ويمني به نفسه منذ زمن بعيد، ويرى الباحثُ أنَّ حذف المبتدأ هنا أبلغ من ذكره بما في ذلك من إيجاز دل عليه السياق.

وكقوله في قصيدة في "انتظار الصباح" (المجتث):

هـــاتِ اســـقنِي يـــا صَـــاحِ كَـــأْسَ الهَـــوَى الفَضَّـــاح
ســـكرانُ، لكـــنْ فـــؤادي ممـــا يُعَانِيـــه، صَـــاحِ
يـــا لَيْـــلُ، هـــل مـــن مُـــدَاوٍ يَـــا ليـــلُ، يشْـــفِي جِرَاحِـــي؟[٢]

والتقدير: أنا سكران؛ ففي هذا الحذف دليل قوي على ما يعتلج في نفس الشاعر من هموم وآلام، مما أفقده وعيه.

وكقول الشاعر إبراهيم ناجي؛ حيثُ ورد ذلك النوع من الحذف في شعره في قوله في قصيدة "في الظلام":

---

(١) محمود أبو الوفا، «دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٣١.

(٢) محمود أبو الوفا، «دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٨٥.

دموعٌ يذوبُ الصخر منها، فإن مضوا فقد نقشوا الأسماء في الحجر الصلدِ[١]

وكقوله أيضًا في قصيدة "اثنان في سيارة":

حمَّى مقدرة على الإنسان تبقى بقاء الأرض في الدوران[٢]

وكقوله أيضًا في قصيدة "الأطلال":

صفحةٌ قد ذهب الدهر بها أثبت الحبُّ عليها ومحا[٣]

وكقوله أيضًا في قصيدة "بعد الفراق":

لُجَّةٌ بعد لُجَّةٍ، كلما صارع ردَّت له أمانيه غرقى[٤]

وكقوله أيضًا:

سهدٌ على سُهدٍ وذكـ ـرى فوق ذكرى تزدحم[٥]

وكقوله أيضًا:

نشوةٌ لم تطل! صحا القلبُ منها مثلَ ما كان أو أشد عناء[٦]

٤- الحذف في سياق الفرح والسرور:

فيحذف المبتدأ كثيرًا في مثل هذه السياقات؛ فإذا كان الغرض من الكلام إظهار الفرح والسرور أو السعادة؛ رغبة في إظهار مشاعر الفرح والابتهاج، وذلك في مواطن المناسبات السعيدة ولحظات الشكر، كنوعٍ من التنفيس عمَّا

(١) شعر إبراهيم ناجي "الأعمال الكاملة"، إبراهيم ناجي، مرجع سابق، ص٢٦.

(٢) شعر إبراهيم ناجي "الأعمال الكاملة"، إبراهيم ناجي، مرجع سابق، ص٣٤.

(٣) شعر إبراهيم ناجي "الأعمال الكاملة"، إبراهيم ناجي، مرجع سابق، ص٣٤.

(٤) شعر إبراهيم ناجي "الأعمال الكاملة"، إبراهيم ناجي، مرجع سابق، ص٦٨.

(٥) شعر إبراهيم ناجي "الأعمال الكاملة"، إبراهيم ناجي، مرجع سابق، ص٨٣.

(٦) شعر إبراهيم ناجي "الأعمال الكاملة"، إبراهيم ناجي، مرجع سابق، ص٨٤.

يُحسُّ به الشاعر من خلال التصريح به، ومن شعراء مدرسة أبولُّو الذين ورد في شعرهم مثل هذا النوع من الحذف الشاعرُ محمود أبو الوفا؛ حيثُ ورد ذلك النوع من الحذف في شعر أبي الوفا في قوله في قصيدة "شكر" (تام الخفيف):

بلْ هو الشِّعْرُ. لا هو الشكْرُ يُهدَى شَـــاعَرٌ شَـــاكرُ إِلـــى إِخْوَانِـــهِ[١]

والتقدير: أنا شاعرٌ شاكرٌ. فقد أُقيمَ في عام ١٩٣٢م في حديقة الأزبكية في القاهرة حفلٌ لتكريم أبي الوفا، وقد خطب فيها كثير من أعلام الأدب وقادته، منوهين بالشاعر، فأجاب بهذه القصيدة شاكرًا لهم صنيعهم؛ والحذف هنا للإيجاز ولدلالة الحال والسياق القرينة وللتخصيص؛ لأنه يتحدث عن نفسه في هذا البيت، ومن ثم ذكره للمبتدأ يعد تطويلًا بلا أهمية، وفي حذفه كذلك نوعٌ من السعادة والفرح أن اعترف المكرِّمون له بمكانته كشاعرٍ؛ فكأنه يرد لهم الجميل بقوله: شاعركم شاكرٌ لتقديركم.

٥- الحذف في سياق الدعاء:

فيحذف المبتدأ كثيرًا في مثل هذه السياقات؛ فإذا كان الغرض من الكلام الرغبة في الدعاء من خلال التصريح به، ومن شعراء مدرسة أبولُّو الذين ورد في شعرهم مثل هذا النوع من الحذف الشاعرُ إبراهيم ناجي؛ حيثُ ورد ذلك النوع من الحذف في شعره في قوله في قصيدة "في الظلام":

ســـلامٌ علـــى عينيـــك مـــاذا أجنتـــا من اللطف والتحنان والعطف والودِّ؟[٢]

---

(١) محمود أبو الوفا، «دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٢٦ – ٢٧.

(٢) شعر إبراهيم ناجي "الأعمال الكاملة"، إبراهيم ناجي، مرجع سابق، ص٢٦.

هذا ولم يعبأ البلاغيون كثيرًا بالحديثِ عن مواضع الحذف الواجبة؛ إذ لا خيار للشاعر أو المتكلمِ فيها؛ فالخروج عنها لا بلاغة فيه، بل هو نوعٌ من الخطأ لا يصحُّ أن يقع في الكلام؛ لذا جاء حديثُهم منصبًّا على مواضع الحذفِ الجائزة فحسب؛ إذ يكون للشاعرِ أو المتكلم الخيار في الإتيان بأي شكلٍ من الشكلين، فيكون البحثُ عن سرِّ اختياره للشكل الذي جاء به، ومدى بلاغته في إيصال غرضه. والذي يرتضيه الباحثُ أنَّ مواضع الوجوبِ وإن كان من الخطأ المجيء بغيرها إلَّا أنَّها لا تعدمُ وجوه البلاغة، بل إنه قد تكون أبلغُ من غيرها وإلَّا لما حكم العلماء بوجوبِ التزامها.

الحالة الثانية: وهي حالة الجواز؛ وهي حالة تخضعُ للقاعدة العامة: "إن دل عليه دليل"، وإن كان له عدة صورٍ؛ تقول: كيف سعيدٌ؟، فيقال في الجواب: مجتهدٌ، أي: هو مجتهد، ومنه قول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا﴾[1]، وقول الله: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾[2]. والتقدير في الآية الأولى: (فعمله لنفسهِ، وإساءته عليها)، فيكون المبتدأ، وهو العمل والإساءة، محذوفًا، والجار متعلق بخبره المحذوف، والتقدير في الآية الثانية: (هذه سورة)[3]. وهذه الحالة يحذف فيها المبتدأ جوازًا إذا وقع في جواب استفهام كما في المثال السابق، ويحذف أيضًا إذا وقع بعد (فاء) الجزاء كما في الآية السابقة، ووقع هذا الحذف لوجود دليل دل عليه.

إذ يرى النّحاة أنّ حذف المبتدأ لا يقتصر على الأمثلة السابقة ولا يقف عند حدود الوجوب، بل يتعدّى الأمثلة إلى مواضع يكثر فيها ويتعدّى الوجوب إلى الجواز؛ وعندما تُذكر عبارة "جوازًا"؛ فإنَّ ذلك يعني أنه يمكن الذكر أو الحذف ولا ضير

(١) الجاثية: ١٥، فصلت: ٤٦.

(٢) النور: ١.

(٣) جامع الدروس العربية: ٢/ ١٦٧.

في كلتا الحالتين، حيثُ يكثر حذف المبتدأ جوازًا إن دل عليه دليل، ولا يقتصر الأمر في ذلك على السّماع وحسب، بل يجوز حذف المبتدأ كلمّا أُدْرِكَ معناه دون لفظه، وفي مثل هذه الحالة الذي يتحدّد العنصر المحذوف وفقًا للسّياق.

أي أنَّ وجود قرينة حالية تدلّ على المبتدأ وتغني عن ذكره هو الشرط العام والرئيس لحذفه؛ فيجوز حذف المبتدأ إذا دلت عليه قرينة لفظية أو معنوية، فمن مواضع الحذف الجائز كما بينها النحاة، أن يكون المبتدأ معلوما تدل عليه قرينة حالية تغني عن ذكره على حد قول سيبويه؛ فقد بين سيبويه هذا الموضع بقوله: "وذلك أنك رأيت صورة شخص، فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت: "عبدالله وربي"، كأنك قلت: ذاك عبدالله، أو هذا عبدالله، أو سمعت صوتا فعرفت صاحب الصوت، فصار آية لك على معرفته فقلت: "زيد وربي"، أو مسست جسدا أو شممت ريحا، فقلت: "زيد، أو المسك"، أو ذقت طعاما فقلت: "العسل"[(١)]. فحذف المبتدأ في هذه الحالة عند سيبويه، يكون مبني على المعرفة السابقة التي عند مستعمل اللغة، بالأشياء التي قد يكون مر بها، فرسخ في ذهنه انطباع خاص بكل شيء، ومتى ذكر هذا الانطباع تجلَّى في ذهنه هذا الشيء. فتدفع المعرفة السابقة بالأشياء، مستعمل اللغة إلى الاستغناء عن ذكرها إذا صادف ما يشير إليها حتما، مثل صورة الشخص أو صوته، وريح المسك أو مذاق العسل. فيكثر حذف المبتدأ إذا وجد أن ذكره سيكون تطويلًا وإطنابًا بلا فائدة، والقارئ أو السامع ليس في حاجة إلى ذكره؛ وكذلك إذا كان معلومًا من سياق الحديث، وحذفه لا يؤدى إلى لبس، والحذف يتناسب مع طبيعة

---

(١) فيحذف المبتدأ كثيرا في اللاّفتات الإرشادية ولافتات المحلات التجارية وغيرها من العناوين على جوانب الطّرقات وغيرها، على سبيل المثال: عبارة (إلى الجامعة)؛ المبتدأ فيها محذوف يقدّر بـ: (الطّريق) أو: (الوجهة)، فحذف المبتدأ في الأمثلة السّابقة لوجود قرينة تدلّ على هذا الحذف. للمزيد يُنظر: الكتاب، سيبويه، ج٢، ص١٢٩ – ١٣٠.

اللغة التي تؤثر الإيجاز كثيرًا، والمبتدأ المحذوف ما دامت تدل عليه قرينة أو يشير إليه السياق، فلا داعي لذكره. فالمبتدأ يحذف حينما يدل السياق عليه، ويكون معلوما لدى المخاطب، نحو قول الله تعالى: {وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾}[1]، لم يريدوا أن يعتذروا اعتذارا مستأنفا من أمر ليموا عليه، ولكنهم قيل لهم: "لم تعظون –قوما–"، قالوا موعظتنا معذرة إلى ربكم"[2]. يقول سيبويه: "وسمعنا بعض العرب الموثوق به، يقال له: كيف أصبحت؟ حمدُالله وثناءٌ عليه، كأنه يحمل على مُضمر في نيته هو المظهَر، كأنه يقول: أمري وشأني حمدُالله وثناءٌ عليه"[3].

ومن شعراء مدرسة أبولُّو الذين ورد في شعرهم مثل هذا النوع من الحذف الشاعرُ محمود حسن إسماعيل؛ حيثُ ورد ذلك النوع من الحذف في قوله في قصيدة كنز الذهب الأبيض (زهرة القطن) (الرمل التام):

حين ذاب الطلُّ في كاساتها ... لؤلؤًا يجري على كفِّ الشعاع
لثمت خدَّ الضحى، وابتسمت ... كابتسام الطفل في عهد الرضاع
وبدت صفراء تحكي غادة ... ذبلت نضرتها يوم الوداع
تخفق النسمة في أهدابها ... خفقة العاشق في ليل الزماع
فتراها في الرُّبى راقصةً ... زانها الضوء بزهوٍ والتماع

(١) سورة الأعراف، الآية: 164.
(٢) للمزيد ينظر: الكتاب، سيبويه، ج1، ص384.
(٣) للمزيد ينظر: الكتاب، سيبويه، ج1، ص٣١٩ – ٣٢٠.

ذاتُ كـأسٍ أُترعـت شـمس الضـحى ريقهـا مـن خمـرة النـور المشـاع[١]

أي: هي ذاتُ كأسٍ؛ وقد حُذف المبتدأ، اعتمادًا على وضوحه وظهوره؛ فقد سبق ذكر بعض أوصاف زهرة القطن مما يُغني عن إعادة ذكرها؛ فقد وصف الشاعرُ زهرة القطن منذ بدايات نموها الأولى، مشبهًا لها باللؤلؤ وكأس الخمر ذات الشعاع، كما شبهها في تقبيل خد الضحى بابتسامة عريضة تشبه ابتسامة الطفل، خاتمًا وصفها في الأبيات ببيان ما اعتراها من اصفرار كاصفرار الغادة الحسناء لحظة وداع محبوبها، "ولا يخفى ما في البيت من تشبيهات واستعارات، وتصوير بياني"[٢].

ومن شعراء مدرسة أبولُّو الذين ورد في شعرهم مثل هذا النوع من الحذف كثيرًا الشاعرُ أحمد مطر؛ حيثُ يقول:

فـــي بـــلاد المشـــركين يبصـق المـرءُ بوجـه الحـاكمين[٣]

والتقدير: "هناك في بلاد المشركين"؛ فحذف المبتدأ من الكلام؛ لوضوحه من السياق؛ إذ لا يخفى ما في التصريح بالخبر من إسقاطٍ مقصود؛ فالشاعر معروفٌ بتميزه وجرأة أسلوبه، كما أنَّ الحذف هنا أفاد التخفيف.

وقد وردت تلك الظاهرة كثيرًا في شعر مدرسة أبولُّو، وذلك اعتمادًا على السياق وقرائن المعنى، وإن تنوعت صورة ذلك الحذفِ، سواء بعد القول، أم بعد فاء

---

(١) الأعمال الكاملة، محمود حسن إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤م، المجلد الأول، الديوان الأول (أغاني الكوخ)، ص١٧.

(٢) للمزيد يُنظر: قصيدة كنز الذهب الأبيض (زهرة القطن) –قراءة بلاغية –، د/ تامر محمد أحمد حجازي، مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد السادس والثلاثون، إصدار ديسمبر ٢٠٢١م، ص٣٥٣.

(٣) أروع قصائد أحمد مطر، محفوظ كحوال، نوميديا للطباعة والنشر، ص٤٩.

الجزاء، أم في جواب الاستفهام، أم غيرها؛ وذلك طلبًا للإيجاز وابتعادًا عن الإطناب الذي قد يخلُ بالمعنى ويصيب العبارة بالتطويل دون داعٍ دلاليٍّ يستدعى ذلك، واعتمادًا على وجود قرينة في السياق توضح المحذوف، كما قد يُحذف المبتدأ في غير ما سبق من "قاء الجواب"، أو "القول"، أو "الاستفهام"؛ اعتمادًا على ذكر المبتدأ في السياق السابق، أو وجود قرينة تدل عليه، وقد ذلك جاء كثيرًا في شعر مدرسة أبُولُّو.

ومنها قول الشاعر أحمد مطر –كذلك–:

عائدون ...

فلا عدنا، ولا هم يحزنون[1].

والتقدير: "نحن عائدون"، وقد حُذف المبتدأ تجنبًا للتكرار، وخشية الإطالة، وقد يكون تجنبًا للتكبر أو التجبر، وقد يكون حزنًا على أقوال لا تتحقق بالأفعال.

ومن المواضع التي حددها النحاة والتي يكثر حذف المبتدأ فيها جوازًا، وتندرج تحت الشرط السابق، وقد وردت كثيرًا في شعر مدرسة أبولُّو[2]:

١- في جواب الاستفهام: حيثُ يقع حذف المبتدأ جوازًا كثيرا في جملة الجواب، أي إذا وقع في جواب استفهام، وهو نوع من الحذف لقرينة لفظية؛ فهو حذف جائز يناط باختياره المتكلمّ، تقول: كيف سعيدٌ؟، فيقال في الجواب: مجتهدٌ، أي: هو مجتهد، ومنه قول الله تعالى: {وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ}[3]؛ أيٍ: هي

(١) أروع قصائد أحمد مطر، محفوظ كحوال، نوميديا للطباعة والنشر، ص٢٤.

(٢) مغنى اللبيب، ابن هشام، تحقيق: د/ مازن المبارك، ج١، ص٨٢٢ وما بعدها.

(٣) سورة القارعة، الآيتان: 10 . 11.

نار حامية. ونحو قول الله تعالى: {قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ}؛ أي "هو النار"[١]. ومثل هذا النوع من الحذف الجائز يصح معه كذلك الذكر، لكن الحذف قد يكون أبلغ. ومن ذلك قول الشاعر العراقي أحمد مطر:

-عباس-

والخنجر ما حاجته؟

للمعضلات القاهرة[٢].

والتقدير: "الخنجر للمعضلات القاهرة"، والذي جوَّز حذف المبتدأ هنا هو وقوع الجواب بأكمله جواب عن السؤال المطروح، فلا غموض ولا التباس من حذفه.

و"الغرض من الحذف أو الإضمار في مثل هذا النوع من السياق هو الدلالة على المراد مع الاختصار"، تقول للرجل: مَن هذا؟ فيقول: زيد، يريد هو زيد، فتجد هذا الإضمار واجبا؛ لأن الاسم الواحد لا يفيد، وكيف يتصور أن يعيد الاسم الواحد[٣]. هذا من حيث الجملة، لكن هناك أغراض تتنوع بتنوع السياقات التي ترد فيها. فقد يأتي الحذفُ في جواب الاستفهام؛ للتعظيم أو للتحقير؛ ففي قول العرب: "من أنت؟ محمّدٌ" لفظ (محمّد) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: مذكورك. وهو أسلوب ورد عن العرب لتحقير المخاطب أو تعظيمِ المتحدث عنه، فأشبه الأمثال في أدائه لمعنى محدّد، ومن

(١) [سورة الحج، من الآية: ٧٢]. وللمزيد يُنظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ج٢، ص٢٥٥.

(٢) أروع قصائد أحمد مطر، محفوظ كحوال، نوميديا للطباعة والنشر، ص٣٥٢.

(٣) أسرار البلاغة، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الفارسي، الجرجاني الدار، (المتوفى: ٤٧١هـ)، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ص٤٢٢. والنحو الوافي، عباس حمس، (المتوفى: ١٣٩٨ هـ)، دار المعارف، ط١٥، ج١، ص٢٧٦.

ثمّ أجري مجرى الأمثال فلم يصح تغييره. ونحو: لا سواء، عند الموازنة بين شيئين، فـ (سواء) خبر لمبتدأ محذوف وجوبا تقديره: هما، أو: هذان"[١].

ومنها قول الشاعر أحمد مطر –كذلك–:

يهتكه ... ثم يقاضيه الثمن؟

لمن؟

لاثنين وعشرين وباءً مزمنًا[٢].

٢– في جملة الجزاء الاسمية المقترنة بالفاء أو بعد الفاء الدّاخلة على جواب الشّرط: حيثُ يكثر – أيضًا – في هذا الموضع حذف المبتدأ جوازًا، أي إذا وقع بعد (فاء) الجزاء أو الجواب[٣]، وقد وقع هذا الحذف لوجود دليل دل عليه. ومنه قول الله تعالى: {مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ

---

(١) علي أبو المكارم، ص٢٥١.

(٢) أروع قصائد أحمد مطر، محفوظ كحوال، نوميديا للطباعة والنشر، ص٣٢٣.

(٣) فاء الجزاء هي فاء الربط التي جاء بها النحاة لربط جواب الشرط بالشرط المتقدم؛ لأنه لا يصلح أن يكون شرطًا، وقد حدد النحاة هذه المواضع في الآتي:

أ– الجملة الاسمية

ب– الجملة الطلبية "الأمر، والنهي، والاستفهام".

ت– الفعل الجامد "عسى، ليس، بئس، نعم".

ث– الفعل المقترن بقد، وحرف تنفيس، وما، ولن، وكأنما، وربما.

ج– الفعل الماضي.

للمزيد يُنظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، ج٢، ص 629؛ والمعجم الوافي في النحو العربي، صنفه: د. علي الحمد، ويوسف جميل الزعبي، منشورات دائرة الثقافة والفنون، عمان – الأردن، ١٩٨٤م، ص٣٢٠.

﴿٤٦﴾}[١]، والتقدير في الآية: (فعمله لنفسهِ، وإساءته عليها)، فيكون المبتدأ، وهو العمل والإساءة، محذوفًا، والجار متعلق بخبره المحذوف"[٢]. ونحو قول الله تعالى: {وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ}[٣]؛ أي: فهم إخوانكم. ومن مواضع الحذف أيضا قول الله تعالى: {إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾}[٤]، والتقدير: فإساءتكم لها، فحذف المبتدأ لعدم الفائدة من ذكره، فذكره لا يزيد المعنى شيئا، وهو مفهوم من السياق، لذا جاز حذفه أي فالإساءة عليها لما يترتب على ذلك من عقوبة.

ومن شعراء مدرسة أبولُّو الذين ورد في شعرهم مثل هذا النوع من الحذف الشاعرُ محمود أبو الوفا؛ حيثُ ورد ذلك النوع من الحذف مرة واحدة في شعر أبي الوفا في قوله في قصيدة "على شاطئ النيل" (تام البسيط):

يَـا نِيِّـلُ إِنْ لَـم تُطَهِّرُهـا فَمَعْـذِرَةٌ إن عَـفّ عَنْهَـا وَإلا عافـك الشـاعرْ[٥]

أي: فهي معذرة، فحذف المبتدأ للإيجاز وقرينة السباق، كما أن الأهم في نظر الشاعر هو الإخبار بالمعذرة، دون ذكر المبتدأ، وذلك على غرار الآية الكريمة.

---

(١) سورة فصلت، من الآية: ٤٦. وسورة الجاثية، من الآية: ١٥.

(٢) مغني اللبيب، ج٢، ص٢٥٦. وجامع الدروس العربية، الغلاييني، ج٢، ص١٦٧.

(٣) سورة البقرة، من الآية:٢٢٠.

(٤) سورة الإسراء، الآية: 7.

(٥) محمود أبو الوفا، «دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م، ص١٨١.

٣- **بعد القول**: حيثُ يكثر حذف المبتدأ بعد القول ومشتقاته من أفعال وأسماء، وذلك اعتمادا على قرينة لفظية في سياق لفظيّ سابق، نحو قول الله تعالى: {قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾}(١)؛ فـ (قالوا) فعل وفاعل، و(أضغاث أحلام) خبر لمبتدأ محذوف، أي: هذه أضغاث أحلام وتخاليط أوهام(٢). وكقول الله تعالى أيضًا: {وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾}(٣)؛ أي: تلك أساطير، وقد يحذف المبتدأ في سياق الكلام اعتمادًا على وجود قرينة أو دليل سياق، وذلك ما ذكره سيبويه في قراءة الجمهور لقول الله تعالى: {وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾}(٤)؛ أي: موعظتنا معذرةٌ(٥).

ومنه في الشعر قول المنذر بن درهم الكلبي (الطويل):

فقالت: حنانٌ ما أتى بكَ هَهُنا؟ أذو نَسبٍ أم أنتَ بالحي عارفُ(٦)

والتقدير عند سيبويه: أمرُنا حنان(٧).

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٤٤.

(٢) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص – سورية، ط٤، ١٤١٥هـ، ج٤، ص٥٠٤.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٦٤.

(٥) الكتاب، سيبويه، ج١، ص٣٢٠

(٦) البيت للمنذر بن درهم الكلبي، وللمزيد يُنظر: الكتاب، سيبويه، ج١، ص١٦١.

(٧) للمزيد يُنظر: الكتاب، سيبويه، ج١، ص٣٢٠.

ومن شعراء مدرسة أبولُّو الذين ورد في شعرهم مثل هذا النوع من الحذف الشاعرُ محمود أبو الوفا؛ حيثُ ورد ذلك النوع في شعر أبي الوفا في قوله مخاطبًا نفسه في قصيدة "باريس" (الكامل التام):

مـا فـي دُمُوعـك؟ قلـتُ: قَلْـبٌ ذائِـبٌ ما فـي ضُلُوعِك؟ قلتُ: حُبٌ صَادِي[١]

والتقدير: قلبي قلبٌ ذائبٌ، وحبي حبٌ صادي. فالحذف هنا للإيجاز ودلالة الحال والسياق؛ لأنه يتحدث عن نفسه في الشطر الأول وعن الحب في الشطر الثاني. ومن ثم ذكر المبتدأ يعد تطويلًا بلا أهمية، وقد يكون المحذوف هنا خبر المبتدأ، والتقدير: في دموعي قلب ذائب، وفي ضلوعي حب صادي، وإن كان الأفضل حذف المبتدأ ليبين سرعة إخباره عن حزنه الشديد الكائن في قلبه.

وقوله كذلك في قصيدة (الأسد السجين) (تام الوافر):

مـــن التَّمَـــذْيُنِ إلَّا أَنْ تُحـــاذِرُ فمَـا لَـكَ يـا أَبَـا الأَشْـبَالِ عَـاذِرٌ

هنالــك ..قَــد تَــرَى شَــرَّ المَنَــاكِرُ وإنْ عَارضَتْ قَالُوا عَنْك: ثائرٌ[٢]

أي: هو ثائر. فحذف المبتدأ هنا للإيجاز وقرينة السياق إضافة إلى أن الشاعر يظهر مدى انفعاله لما يقولون عنه.

وقوله كذلك في قصيدة (هوى) (السريع):

وقِيــل لــي: النــاسُ علــى بابِــه قــد ســابَقُوا النحــلَ إلــى زَهــره

فقلــت: معــذورون، لــم يُــذنبوا وإن يَكُــن ذنــبٌ فمــن عِطْــرِه[٣]

(١) محمود أبو الوفا، «دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه»، مرجع سابق، ص١٤١.

(٢) محمود أبو الوفا، «دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه»، مرجع سابق، ص٢٢٣.

(٣) محمود أبو الوفا، «دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه»، مرجع سابق، ص٢٣٧.

أي: هم معذورون. فقد حُذف المبتدأ اعتمادًا على السياق السابق في الكلام؛ ففي البيت الأول يتعجب الشاعر من كثرة مَن يتسابقون في حب فتاته كتسابق النحل إلى الرياض للفوز بزهورها، ثم يبين العذر لهم في البيت الثاني؛ فالحذف هنا للإيجاز بوجود دلالة السياق.

وقوله كذلك في قصيدة (الشهيدان) (تام الرمل):

رُمْتُهـــا صُـــلْحا فَرَامَتْنـــي خَصـــامًا يـــا زَمَـــانَ السُّـــوءِ السُّـــوءِ إلاّ مَـــا

قيـــل: حَـــظٌ، قلـــتُ: آمنًـــا بـــه، مِنْ عَتِيٍّ، جَارَ فـي النـاسِ احْتِكامَا[1]

التقدير: هذا حظٌّ؛ فالشاعر في البيت الأول وجد الرثاء فرصة لشكواه من الزمان، فقد حذف المبتدأ للإيجاز ودلالة السياق، فالحذف أبلغ من الذكر.

ومن شعراء مدرسة أبولُّو الذين ورد في شعرهم مثل هذا النوع من الحذف كثيرًا الشاعرُ أحمد مطر؛ حيثُ يقول:

لماذا إذن لا يموت الملك؟

لحقن الدم المنسفك؟

يقول: إذا مات في البدء

لا بلعب اللاعبان[2].

والتقدير: "يقول: الملك إذا مات في البدء"؛ فحذف المبتدأ من الكلام؛ لوضوحه من السياق والعلم به، كما أنَّ الحذف هنا أفاد التخفيف والإيجاز، مما يمنح التركيب قوةً وبلاغة.

---

(١) محمود أبو الوفا، «دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه»، مرجع سابق، ص٢٨٧.

(٢) أروع قصائد أحمد مطر، محفوظ كحوال، نوميديا للطباعة والنشر، ص٥٥.

٤- في كلام مبدوء بصفة أو بنكرة موصوفة: ومن ذلك: قول الله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾[١]. والتقدير في الآية الثانية: (هذه سورة)، فذكر الخبر (سورة) وحذف مبتدؤه والذي يقدّر بـ (هذه)، ولم يتقدّم لفظ يدلّ على المحذوف"[٢]. كقولِ إبراهيم ناجي:

وسيَّارةٌ تمضي لأمر مُحجَّبٍ مُحجَّبة الأستار، خافية القصدِ[٣]

وكقوله أيضًا في قصيدة "النسيان":

ضيفٌ من السلوان حلَّ بنا حدبُ اليدينِ مباركٌ قدما[٤]

(١) النور: ١.

(٢) جامع الدروس العربية: ٢/ ١٦٧.

(٣) شعر إبراهيم ناجي "الأعمال الكاملة"، إبراهيم ناجي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ص٢٥.

(٤) شعر إبراهيم ناجي "الأعمال الكاملة"، إبراهيم ناجي، مرجع سابق، ص٨٨.

الفصلُ الثاني
إضمارُ "المبتدأ" عند مدرسة أبولُّو

توطئةٌ:

سبقت الإشارة في الفصل السابق إلى أنه مما يُضمر من المفردات (الاسم)، ومن الأسماء التي تضمر (المبتدأ)، وقد سبق الذكر أنَّ العلماءَ يسمون حذفَ المبتدأ إضمارًا وليس حذفًا لِمَا له من أثر في معموله الذي هو الخبر، وإضمارُ المبتدأ له معنيان؛ إذ قد يعني: إمَّا استخدامه كضمير بارز، وإمَّا حذفه -وجوبًا أو جوازًا- مع تقديره-وقد سبق الحديثُ عن الإضمار بمعنى الحذف، والآن يأتي دور الحديث عن الإضمار بمعناه الثاني وهو التعبير بالضمير-.

أغراضُ الإضمار:

يُعدُّ الضمير بنية شكلية تمثل محور الجهة الناطقة في بناء القصيدة سواء أدل على المتكلم أم المخاطب أم الغائب، ولا تخلو قصيدة من اجتماع هذه الأنواع فيها إلا أن كل قصيدة تمتاز بتراكم نوع معين من الضمائر فيها: كالمتكلم، أو المخاطب، أو الغائب. ومن هنا يمكن التفريق بين القصائد على أساس ارتفاع نسبة شيوع أحد الأنواع الثلاثة(١).

ويأتي التعبير بالضمير لأغراض كثيرة يكشفها السياق، والقرائن التي تحفه، على أن يكون الكلام مطابقا لمقتضى الحال، ومنها:

---

(١) أسلوبية الضمائر في ديوان "وراء الغمام" لإبراهيم ناجي، حسام محمد أيوب، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، مجلد ٢٥، العدد (١)، ١٤٣٨هـ = ٢٠١٧م، ص١٤٠.

١- حاجة المقام لضمير يبين المقصود، قال السبكي مبيِّنًا مسوغات الإضمار: "أن يكون المقام يحتاج لضمير يبين المقصود، فتارة يكون باعتبار التكلم، وإما أن يكون مقام خطاب، وإما أن يكون مقام غيبة"(١).

٢- من أغراضه الإيجاز بصورتين:

أ- وأول إيجازه في قلة حروفه، كما أشار إلى ذلك ابن يعيش فقال: "لمّا كانت المضمرات إنّما جيء بها للإيجاز والاختصار، قلّت حروفها"(٢).

ب- وثاني إيجازه فيما أحال إليه؛ فقد أصبح عوده إلى مرجعه بديلا عن تكرار اللفظ مرة أو أكثر من مرة؛ لأن التكرار يحدث لدى المتلقي مللا، فيُفقد المتلقي المقصود من الكلام، فمجيء الضمير يسد مسد المرجع وأبلغ من ذكره، إلا في أحوال تعرف ببلاغة إظهار المضمر(٣)، ويقول ابن مالك في كون الضمير للإيجاز: "...سبب وضع الضمائر طلبَ الاختصار"(٤). ومن الأمثلة على مجيئه للاختصار ما ذكره الزركشي في قوله تعالى: قوله تعالى: {إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم

(١) عروس الأفراح، بهاء الدين السبكي، ج١، ص١٦٥.

(٢) شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش، ج٢، ص٣٢٧.

(٣) للمزيد يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ج٢، ص٨١ – ٨٥؛ وخصائص التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص٢٤١ – ٢٤٨.

(٤) شرح التسهيل، ابن مالك، ج١، ص١٣١.

مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾}[1]. فقد جاء الضمير في قول الله تعالى: **[لَهُم]** مقام خمس وعشرين كلمة[2].

٣- ومن أغراضه الإيناس، مثل قول الله تعالى: {إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾}[3]، فيزداد المخاطب ثقة بالمتكلم ليتغلب على ما أحاط به من أسباب الخوف.

٤- الافتخار، مثل: نحن في مقام الافتخار.

٥- زوال الشك ورفع الالتباس: قال الرضي: "اعلم أن المقصود من وضع المضمرات رفع الالتباس، فإنَّ (أنا)، و(أنت) لا يصلحان إلا لمعنيين، وكذا ضمير الغائب نص في أن المراد هو المذكور بعين، نحو: "جاءني زيدٌ، وإياه ضربت"[4].

٦- تفخيم شأن المضمر، وتعظيمه والشهادة بشهرته، ويكون غنيًّا عن التفسير، كقول الله تعالى: {إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾}[5].

٧- تحقير شأن المضمر، كقول الله تعالى: {إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾}[6].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٢) للمزيد يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج٤، ص٢٤.

(٣) سورة طه، الآية: ١٢.

(٤) شرح الرضي على الكافية، الرضي الإستراباذي، ج٣، ص٦.

(٥) سورة القدر، الآية: ١.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٦٨.

٨- **تحقير شأن المضمر**، كقول الله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢}(١).

٩- **وقد يقدم الضمير فيكون مبهما**؛ ليتمكن مفسرة في ذهن السامع، بعد انتظاره.

١٠- **الكشف عن مرجعه الذي يفسره الفعل، أو الذي لم يذكر لأغراض بلاغية**. لأن المرجع قد يحذف ثقة بأن السامع سيعرفه، أو لعدم الحاجة لمعرفته، أو سترا على المتحدث عنه، أو احتقارا لمن الكلام في شأنه، وقد وردت أمثلة ذلك في البحث.

١١- **وقد يكون حضور المتحدَّث عنه في ذهن المتحدِّث والمتلقي مغنيا عن التصريح بالمرجع**؛ لأنه موجود في الوجدان وإن خلا منه السياق، كضمير المحبوبة الذي يذكره الشعراء من غير تصريح بمرجعه، ادعاء منهم أنه لا يشاركها في هذا الضمير أحد، ولا ينصرف الذهن إلى غيرها.

وهذه الأغراض ليست على سبيل الحصر، بل تتنوع الأغراض بتنوع النظم وما استدعاه، وبتنوع القرائن التي توجه النص حسبما تكون في خاطر المتحدث، ليبين كل كلام عن غرضه فيحكم بفصاحته وبلاغته.

ومن صور وأغراض إضمار المبتدأ عند شعراء مدرسة أبولُّو في سياق الشوق والحنين، **قولِ إبراهيم ناجي في قصيدة (لقاء في الليل):**

قالـــت: تعـــالَ، فقلـــت: لبيـــكِ هيهـــاتَ أعصـــي أمـــرَ عينيـــكِ

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٦١ – ١٦٢.

أنـــا يـــا حبيبـــةُ طـــائرُ الأيـــكِ لـــم لا أغنـــي فـــي ذراعيـــكِ[1]

ومن صور وأغراض إضمار المبتدأ عند شعراء مدرسة أبولُّو في سياق الشكوى، قولِ إبراهيم ناجي في قصيدة (رجوع الغريب):

تخبو العواطفُ في الصدور وتنتهي ويجـف فـي زهـر القلـوب نـداها

وأنـا أحمـل اليـومَ بَـدْءَ علاقـةٍ وعنيـف ثورتهـا وحـزّ مـداها

لـم تُـرو منـك نـواظري وخـواطري ورجعـت أزكـى مهجـة وشـفاها[2]

ومن صور وأغراض إضمار المبتدأ عند شعراء مدرسة أبولُّو في سياق الشك وعدم الإيمان بالحياة، قولِ الشابي:

نحـن نمشـي، وحولنـا هاتِـه الأكـ ـوانُ تمشـي ...، لكـن لأيـةِ غايـه؟

نحـن نشـدو مـع العصـافير للشمـ ـس، وهـذا الربيـع يـنفخُ نايـه[3]

(١) شعر إبراهيم ناجي "الأعمال الكاملة"، إبراهيم ناجي، مرجع سابق، ص٣٦.

(٢) شعر إبراهيم ناجي "الأعمال الكاملة"، إبراهيم ناجي، مرجع سابق، ص٥٧ – ٥٨.

(٣) ديوان أبي القاسم الشابي، أبو القاسم الشابي، مرجع سابق، ص٢٠٤.

نتائج البحث:

إنَّ للبحث البلاغيِّ أثرَه العظيمَ في فهم اللُّغةِ العربيَّةِ، وإدراك مكنوناتها وأسرارها وعجائبها، وتتجلَّى قيمةُ البحثِ البلاغيِّ واضحةً عندما يطبق على نصوصٍ لها قيمتها ومكانتها، كما إنَّ مِنْ سُنن العرب وعاداتهم في الكلام الحذفَ والاختصارَ، ومن روعة وعجيب اللُّغةِ العربيَّة وبلاغتها أنَّ الكلام قد يكون في غاية البيان والوضوح إذا حُذِفَ من أركانِ الجملة أو متعلقاتها شيءٌ، فبلاغة القولِ كما تكون في ذكر أركان الكلام، تكون كذلك في الحذف، طالما أنَّ المقام يقتضي ذلك والحال يطلبه، وما أكثر ما يفيده الحذف عند تأمله من أسرار ونكات يدركها المتذوق بقلبه ولُبِّهِ، وإن لم يُفصح عنها بلفظه ولسانه.

وقد شكَّلَ الحذفُ والإضمارُ في اللغة العربية عمومًا ظاهرتين لهما مكانتهما البارزة ودورهما الحيوي في الكلام، وقد دار حول هذين المصطلحين خلافٌ كبيرٌ قديمًا وحديثًا، ما بين مفرِّقٍ بينهما، ومستخدمٍ لهما بمعنى واحدٍ، وثالثٍ جعل لكلٍّ منهما معنى خاصًّا به في كل علمٍ خلاف العلم الآخر، وقد حاول الباحثُ من خلال بحثه وبعد الوقوف على أقوال العلماء واستخداماتهم أن يتوصل إلى أنه لا غضاضة من استخدام المصطلحين في علمي النحو والبلاغة بشقيهما دون تعارضٍ أو اصطدام؛ فيُحمل المصطلحان على معنى "الإسقاط" إذا اجتمعا، وينفرد الإضمار بـ"معنى التعبير بالضمير" عند استخدامه منفردًا، وهذا ما حاول الباحثُ تطبيقه من خلال هذا البحث.

وقد شكلت الظاهرتان في شعر مدرسة أبولُّو بوصفها مدرسة شعرية لها مكانتُها في الأدب العربي الحديث – ملمحين لهما أثرُهما الواضحُ في شعر المدرسة، وما يقصده شعراؤها من وراء ذلك من أغراضٍ بلاغيَّةٍ؛ حيثُ تنوعت صور الظاهرتين بتنوعِ مقامات وسياقات الكلام، كما تنوعت بتنوعِ صور الحذفِ والإضمار وأشكالهما.

وقد اعتمد الباحثُ في تتبعِ الظاهرتين في شعر شعراء المدرسة على اختيار بعض النماذج التي وردت فيها هاتان الظاهرتان، بشكل له دور واضح في أداء معنى

أو غرضٍ بلاغي واضحٍ هدفَ إليه الشاعرُ صاحب الأبيات في قصيدته، مع تحليل الشواهد وتصنيفها تبعًا لأغراض الحذف والإضمار وصورهما كما هي عند علماء النحو والبلاغة، ولم يشأ الباحث أن يفصل بين العلمين إيمانًا منه أنَّهما يكملان بعضهما، ولا غنى لأحدهما عن الآخر.

وقد اقتصر البحث على دراسة شكل واحدٍ فقط من صور الحذف والإضمار، هو: (حذف وإضمار المبتدأ)؛ إذ فيه كثيرٌ من الدلالات التي توفرت في غيره من التراكيب. وقد اكتفى الشاعر ببعض النماذج لبعض صور الحذف والإضمار؛ لأنَّ الموضوعَ طويلٌ ولا يتسعُ المجال لكلِّ جزئياته وتفاصيله؛ لذا جاء الاكتفاء ببعض النماذج والصور، والله الموفق والمستعان.

وقد تبيَّن من خلال استعراض الشواهد التي تمَّ تحليلُها أنَّ الحذفَ والإضمار في شعر تلك المدرسة لم يأتِ اعتباطًا، ولا تقليدًا لأساليب العربِ فحسب، بل كان لكلِّ نمطٍ من أنماط الحذف والإضمار (بمعنييه) غرضٌ بلاغيٌّ تنوَّعَ بتنوعِ غرضِ القصيدة وسياقها.